

أمازيغي متعدد الوجوه بعقيدة ملكية صافية

المحبوبي أحرضان

المغربي المخضرم الذي تخطى حبال السياسة



● المهام التي كلف بها أحرضان لطالما كانت تثير الجدل، كما حدث بعد زيارته لإسرائيل في منتصف التسعينات، بأمر من الملك الراحل الحسن الثاني الذي كانت له رؤيته ومقاربتة بعيدة المدى للصراع الفلسطيني الإسرائيلي.



● أحرضان زعيم أمازيغي يرحل تاركاً بصماته بقوة على فترات في المشهد السياسي والاجتماعي والفني المغربي، حتى وصف بالسياسي الفنان المحب لبلاده والذائد عن حاضرها ومستقبلها.

اللوحه لنفسه ثم ترميها إلى المتلقي، متأسفاً على أن شخصية السياسي طغت على شخصية الإنسان والممار السياسي طغى على مسار الفنان الذي تنتشر أعماله التشكيلية بشكل كبير، حتى تكاد لا تخلو منها مؤسسة أو هيئة رسمية في المغرب.

استطاع أن يخلق عالمياً من خلال لوحاته الشخصية ذات الاتجاه الفطري الذي استمدته من ثقافته وهويته الأمازيغية، كما توجي عناوين لوحاته، وكانت من قبيل "تافسوت"، "تافوس"، "تاهلوز"، "أكرافو نفسا"، "أمناري نورجس" وغيرها.

الوطني للقوات الشعبية" أداة للتطور في خدمة البلاد. وقد يكون أحرضان اختار الفن للنجاة من السياسة، باعتباره أحد الشواطئ الآمنة لمن جرفته عوالمها ودهاليز أسرارها، بات واحداً من بين هؤلاء الذين زاوجوا بين لظن السياسة وعذوبة الفن وسبيلته، حتى بات رمزاً من رموز الفن التشكيلي المغربي إلى جانب فريد بلكاوية، والراحل محمد الميحيي وغيرهما، فناناً عصامياً يرسم ليستعيد جوهره ويستعيد حلمه ويحافظ على ذكرياته والفن بالنسبة إليه وسيلة للتطور والاسترخاء.

أحرضان واللغة الثالثة

عبدالحق المريني الناطق الرسمي باسم القصر الملكي ومؤرخ المملكة المغربية، يقول إن أحرضان فنان مبدع بالإضافة إلى كونه شاعراً وكاتباً. ويضيف "حقيقة هو رجل فريد من نوعه، ورغم تقدمه في السن تمتع بذاكرة قوية. وهو رجل قام بأعمال جليلة في الميدان الوطني سجلها التاريخ".

كان أحرضان فناناً يداعب الريشة ويعبر بالألوان لرسم أحاسيس يعجز اللسان عن البوح بها، يمتكث في بيته سواء بالرباط أو بمزله الريفي في مسقط رأسه أو لمارس بالاطلس المتوسط، للرسم وكتابة الشعر والرواية. "أحرضان يقرأ كثيراً وكتب الشعر والنثر، لكن دائماً باللغة الفرنسية". هكذا كان يصفه الوزير السابق محمد المرابط الذي كان أحد المقربين منه. وكانت مدينة نيس الفرنسية بالنسبة إليه نقطة تحول على المستوى الفني، فأول مرة، عندما كان هناك في مهمة كضابط مغربي في الجيش الفرنسي إبان الحرب العالمية الثانية، يشاهد لوحة لناظورة حولها حوض كبير من الماء ورأس امرأة فاتنة، ولوحة أخرى تصور ممراً نحو الفضاء ينطلق عبره عصفور. تلكما اللوحتان بقينا في ذاكرته لزمان طويل، وبعد سنوات

مذكراته التي كتبها باللغة الفرنسية لم يستطع أحرضان تجاوز ما هو مسموح له فيها كرجل دولة، فبقيت كلوحة سياسية وتاريخية وأمنية وثقافية واقتصادية، تغطيها ضلال كثيفة بألوان متداخلة

لا يمكن الحكم على مسيرة أحرضان بسهولة، ولا على دقة الذاكرة التي نقلت تلك الأسرار إلى مذكرات تحكي عن فترات هامة وحساسة من تاريخ المغرب، إلا أن الرجل قال إن كل ما رواه حقيقي ودون أي رتوش، بينما وصف محمد بنسعيد أبت، السياسي اليساري وأحد زعماء جيش التحرير، الأحداث التي جاءت في مذكرات أحرضان "بالخرافات والأكاذيب". فيما قال الكاتب والسياسي، الراحل العربي المساري، إن "ليست كلام عقلاء"، مستنكراً استهداف الفاسي من طرف من أسماهم "بقايا الاستعمار الفرنسي وذيوله".

ويبقى النقد يرون في أسلوب أحرضان الفني نمطاً فريداً من نوعه، جديراً بالتوقف عنده. الفنانة التشكيلية سلوى جانا تقول إن فن أحرضان لا يمكن أن يصف في إطار أي مدرسة فنية، أما الناقد عبدالله الخضير فيعتبر أن أحرضان يرسم بطريقة عيقة محاولاً قراءة

كان أحرضان فناناً يداعب الريشة ويعبر بالألوان لرسم أحاسيس يعجز اللسان عن البوح بها، يمتكث في بيته سواء بالرباط أو بمزله الريفي في مسقط رأسه أو لمارس بالاطلس المتوسط، للرسم وكتابة الشعر والرواية. "أحرضان يقرأ كثيراً وكتب الشعر والنثر، لكن دائماً باللغة الفرنسية". هكذا كان يصفه الوزير السابق محمد المرابط الذي كان أحد المقربين منه. وكانت مدينة نيس الفرنسية بالنسبة إليه نقطة تحول على المستوى الفني، فأول مرة، عندما كان هناك في مهمة كضابط مغربي في الجيش الفرنسي إبان الحرب العالمية الثانية، يشاهد لوحة لناظورة حولها حوض كبير من الماء ورأس امرأة فاتنة، ولوحة أخرى تصور ممراً نحو الفضاء ينطلق عبره عصفور. تلكما اللوحتان بقينا في ذاكرته لزمان طويل، وبعد سنوات

ومن خلال حركته السياسية طرح أحرضان مسألة اللغة والثقافة الأمازيغية كقضية تهم كافة المغاربة، وكان يقول عن اللغة العربية "تحترمها لأنها لغة القرآن". وهو موقف يؤكد الوزير المرابط الذي يضيف أن أحرضان حمل لواء الأمازيغية يوماً، على النقيض مما ذهب إليه نشطاء الحركة الأمازيغية، الذين اتهموا الرجل بركوب هذه القضية لخدمة مصالحه السياسية والشخصية. لكن ما يبقى من أحرضان أكبر من ذلك التشكيك؛ فالعسكري والسياسي والوزير والمفكر والفنان يلخص حالة مغربية معقدة بجدارة، سيتوقف عندها كثيرون بدءاً من الآن حتى زمن طويل قادم.



المغرب آنذاك مساعدته في إقناع اليهود المغاربة المقيمين في إسرائيل بدعمه في تحقيق السلام مع الفلسطينيين، وكشف أحرضان أنه التقى باليهود المغاربة المقيمين في إسرائيل في موسم يقيمونه ويعرف باسم "للا ميمونة" وأبلغهم رسالة الملك وقد رحبوا بها.

سأراقب من بعيد

كلمة السر التي قالها أحرضان في مؤتمر حزب "الحركة الشعبية" الذي انعقد في يونيو عام 2010، "سأراقب من بعيد". وقد مرت عشر سنوات بالتمام والكمال على تقاعده السياسي ليرحل تاركاً تراثاً سياسياً بحاجة إلى إعادة الاستكشاف.

شكل أحرضان مع صديقه عبدالكريم الخطيب، أحد رجالات المقاومة وجيش التحرير، حزباً سياسياً في نهاية الخمسينات، ولم يطل الأمر بهما كثيراً، ومثل كل التنظيمات السياسية بالعالم العربي حيث تطغى النزجسية والفردانية، عرفت الحركة الشعبية أول انشقاق في العام 1966 إذ بدأ الخلاف بين أحرضان والخطيب على الزعامة، فاحتفظ أحرضان باسم الحزب وبشكل الخطيب "الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية"، والتي ستتحول بعد ثلاثين سنة إلى "العدالة والتنمية" التي تقود الحكومة منذ العام 2012.

كانت منافسة حزب "الاستقلال" هي الغاية والهدف من تحرك أحرضان وصديقه الخطيب في اتجاه تكوين حزبهما. ويقول أحرضان في كتاب "مذكرات" أو "الماسترا" إنهما فكرا حينها وفقاً للممثل المغربي القائل "اللي بغا يطرا بطرا"، أي "فليقع ما يقع". ويروي أن علال الفاسي، مؤسس حزب "الاستقلال"، كان يحتفل رفقة بعض أصدقائه على وقع "الطرب الأندلسي" في مكان غير بعيد عن "جنان بريشة"، حيث كان يعذب المختطفون، فقال الخطيب للفاسي وقتها إن "الناس يموتون على مقربة منا وهنا الناس ينصتون لآلة"، فرد الفاسي على الخطيب قائلاً "فليموتوا على وقع الآلة". وهو ما وصفه أحرضان بقلعة احترام للحياة الإنسانية.

ويرى أحرضان أن السياسي اليساري المهدي بن بركة كان سعيه منصباً فقط على الوصول إلى السلطة بأي ثمن واصفاً إياه بأحد المستبدتين الذين يصطادون في جميع الظروف، وتأسف لكون اليوتوبيا تحكمت به كقائد سياسي رغم أنه كان باستطاعته جعل حزبه "الاتحاد

ذات بعد أخلاقي وهوياتي، اندمج في المقاومة وجيش التحرير، وبعد الاستقلال سيكون ضمن الإداريين الذين ساهموا في مغربة الإدارة المغربية كمحافظ في الرباط ليشترك في ثمان حكومات لاحقاً.

شارك أحرضان كوزير دفاع في أول حكومة يشكها الملك الراحل الحسن الثاني من العام 1961 حتى 1967، وحضر حرب الرمال بين المغرب والجزائر والتي قادها الكولونيل المغربي إريس بن عمر، وعبر عن فخره بتحقيق انتصار بالامكان حينها السيطرة على تندوف، وأنه كان يمكن استغلال ذلك الانتصار لتسوية مشكلة الصحراء بشكل نهائي. وما هو يرحل في الوقت الذي يضع فيه الجيش المغربي بأوامر ملكية حدا لعبت ميليشيات البوليساريو على معبر الكركرات ضمن الأرض المصنفة أممياً منطقة عازلة.

عاصر ثلاثة ملوك مغاربة قبل الاستقلال، في خمسينات القرن الماضي إلى حدود وفاته، فهو مؤمن بان الملك هو الذي يحكم، حاول يوماً عندما كان جندياً تقبيل يد السلطان الراحل محمد الخامس، غير أنه سحب يده وهو يقول "الجندي يحيي ويحارب"، عبارة ظلت محفورة في ذاكرته لعقود طويلة.

وقد قدر العاهل المغربي الملك محمد السادس في تعزيتة لعائلة أحرضان ما كان يتحلى به الراحل من خصال رفيعة، ومن غيرة وطنية صادقة، تجسدت على مدى عقود في مساره النضالي والسياسي الحافل بالعباءة. وسياسياً وشخصياً نوه الملك بما أسداه أحرضان لوطنه من جليل الأعمال، سواء بانخراطه المبكر في مقاومة الاستعمار، والذود عن استقلال المغرب ووجدته الترابية، أو بما أبان عنه من حنكة، وكفاءة، في مختلف المسؤوليات السامية والحكومية التي تقلدها بكل تفان وتكرار ذات، فضلاً عما جادت به روحه الفنية من أعمال إبداعية متميزة عكس من خلالها تجربته السياسية وأصالته بيئته الثقافية، كتابةً وتشكيلاً، وكذا معرفته الدقيقة بالتاريخ المغربي العريق.

عين أحرضان في عدة حكومات حتى حدود العام 1985، لكن التاريخ لم يكتب له أن يقود إحدى تلك الحكومات المنبثقة عن استحقاقات كانت حركته حاضرة بقوة في معظمها، رغم أنه كان شخصية مثيرة للاهتمام وقد أثار جدلاً واسعاً، إثر زيارته لإسرائيل في منتصف التسعينات من القرن الماضي، طلب من الملك الراحل الحسن الثاني الذي كانت له رؤيته ومقاربتة بعيدة المدى للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والأكيد أن خطوات الملك الراحل كانت محسوبة بدقة ساعة التاريخ والجغرافيا ومصبوغة بالواقعية السياسية، وسبب الزيارات رسالة من رئيس الوزراء إسحاق رابين يلمس فيها من ملك

محمد مامون العلوي صحافي مغربي

باعته أمه في السوق حتى لا يلقى مصير أشقائه السابقين الذين توفوا بطرق وصفها بالأيمة، وكانت تلك عادة لدى العرب تلافياً للعين والحسد. وبعدها استردت الأم ولدها، وما هو، بعد عمر قارب 100 سنة، ينتقل قبل أيام إلى العالم الآخر، حاملاً معه ملفاً يضم بعضاً من أسرار عقود طويلة في العمل السياسي والحزبي والعلاقات المتشعبة والمتشعبة.

المحبوبي أحرضان زعيم سياسي أمازيغي مغربي استطاع أن يصمم بقوة وعلى فترات في المشهد السياسي والاجتماعي والفني ليوصف بالسياسي الفنان المحب لبلاده والذائد عن حاضرها ومستقبلها. ولد بالاطلس المتوسط في بلدة والماس، وحفظ القرآن كغيره من الأطفال في سن مبكرة، وبعدها التحق بـدراسة طارق بن زياد في مدينة أزرو.

عبدالحق المريني الناطق الرسمي باسم القصر الملكي، يصف أحرضان بأنه كان فناناً شاعراً وكاتباً مبدعاً، ويضيف مؤرخ المملكة المغربية قائلاً عنه «حقيقة هو رجل فريد من نوعه»

استطاع، رغم قصر قامته وملامحه الصارمة، أن ينتزع الاعتراف بأنه السياسي المرازغ الذي يجيد الدفاع جيداً عن مواقفه وأفكاره، كما أن الأسلحة والحيل لا تعوزها إذا كان في وضعية الهجوم، حتى مذكراته التي كتبها باللغة الفرنسية التي يتقنها جيداً لم يستطع تجاوز ما هو مسموح له فيها كرجل دولة، وبقيت ظلال كثيفة في لوحة سياسية وتاريخية وأمنية وثقافية واقتصادية متشابكة بألوان متداخلة في تاريخ المغرب.

الأمازيغي الملكي

أحرضان المعروف بـ"الزايغ"، ذاكرة المغرب كله، وأحد أبرز وجوهه السياسية. قد تختلف وجهات النظر حوله، لكن الرجل أثبت أنه أفر في صناعة المشهد السياسي وشارك في جزئياته التي تغيب بالقطع عن البعض. كان حاضراً في الحرب العالمية الثانية كضابط في الجيش الفرنسي، وبعد أن اختلف مع رؤسائه حول قضايا